القسم الثالث

نظريات ومبادئ عامة في الفقه الإسلامي

obeikandl.com

obeikandl.com

القسم الثالث:

نظريات ومبادئ عامة في الفقه الإسلامي

وهذا القسم يتضمن ما يأتي

١- مبدأ حماية الإسلام للإنسان.

٢- نظرية المال والملك.

٣- نظرية العقد.

* * *

تمهيد:

الذي حدا بي للكتابة في هذا الموضوع، هو ظاهرة المؤتمرات العالمية لحقوق الإنسان هذه الأيام والتي يشرف عليها بعض الدول الغربية أو بعض منظماتها، ويدعون إليها البعض منا على مستوى العالم العربي كله، وذلك بهدف وضع ميثاق لحقوق الإنسان العربي.

والحقيقة أن هذه الظاهرة قد أثارت دهشتي، حيث لا أتصور أبدا أن نبيح لأنفسنا كمسلمين مناقشة حقوق الإنسان المسلم على موائد غير المسلمين، وفي رحاب مؤتمراتهم، وأن نتخذهم روادا لنا ومعلمين في هذا المضمار مع أن حقوق الإنسان في الإسلام لا تكاد تحصى؟

إن أكثر تعاليم الإسلام ومبادئه إنما تعني بالدرجة الأولى حماية الإنسان وحقوقه، وسيتضح لنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة إن شاء الله تعالى والتي لا تتناول إلا بعض جوانب حقوق الإنسان في الإسلام وهو حقه في الحماية من العدوان والظلم.

ومما يزيدنا دهشة وعجبا إزاء هذا الأمر وغيره أن تعاليم الإسلام ليست بمعزل عن أحد، ولا حكرا على أحد، وإنما تفتح ذراعيها بكل شوق ولهفة لكل باحث عن الحق والعدل والخير.

أجل، إن تعاليم الإسلام لتفتح ذراعيها لكل باحث منصف متجرد عن الغرض والهوى.

وليست هذه التعاليم أحاجي ولا طلاسم وألغازاً، إنها واضحة وضوح اليقين، ناصعة نصوع الحقيقة، فكيف برب السماء نغفلها ونشد الرحال إلى غيرنا لنتعلم حقوق الإنسان منهم!

إننا لا نقول هذا الكلام جزافا، ولا نلقيه على عواهنه إلقاء، وإنما نقوله وبين أيدينا عشرات الأدلة من الكتاب والسنة ومن التطبيق العملي لصحابة رسول الله ﷺ.

إننا والله - بلا تفاخر أو مكابرة - رواد العالم كله - شرقه وغربه - لو أردنا، والإرادة التي توصلنا إلى ذلك لا تكون إلا باعتزازنا بإسلامنا، واعتزازنا بإسلامنا لا يأتي من فراغ، وإنما بالدراسة المتعمقة لمبادئ هذا الدين وأحكامه، والإخلاص التام له.

وإن لم تتوافر لدينا هذه العزة الإسلامية النابعة من سبر أغوار الشريعة وفهم أحكامها ومعانيها والعمل على اتخاذها نبراساً لنا في الحياة لظللنا على هامش الحياة غثاء كغثاء السيل يخيم علينا الوهن ويضرب بجذوره في أعماقنا.

إننا نقول لأرباب المؤتمرات العالمية لحقوق الإنسان: تعالوا إلينا لتتعلموا هذه الحقوق من وحي شريعتنا، وسوف ترون ما يبهركم من حقوق فذة لم يشرف التاريخ البشري كله بنظائرها غير أنه ينقصها التطبيق، وليس هذا هو ذنب الإسلام وإنما هو ذنب المسلمين.

إننا نقول لأرباب هذه المؤتمرات: إن منظوركم لحقوق الإنسان يختلف تماما في كثير من النقاط من منظور الإسلام لها وليس ثمة مجال للخوض في هذه المسألة التي نختلف فيها عنكم وكذلك ليس ثمة لقاء فكري بيننا وبينكم خاصة في الأمور التي تمس أي جانب من جوانب الشريعة، فلكم دينكم ولنا ديننا.

إلا وأن حقوق الإنسان وإن كانت عزيزة غالية على نفس كل حر أبي يرفض الضيم ويأبى الظلم، إلا أنه لا يمكن بحال أن نتلقاها إلا من نبع شريعتنا الغراء، لا من المؤتمرات التي تعقد في هذه الدولة أو تلك بعيدا عن ديار الإسلام وإلا فأين هويتنا؟ هل ضاعت سدى؟ أين اعتزازنا

بديننا؟ هل ضاع هباء لنستجدي حقوقنا ممن لا يؤمنون بشريعتنا؟

هذا وإن ما نعرض لبيانه من جوانب حقوق الإنسان في الإسلام - وهو حقه في الحماية من الحماية من العدوان والظلم - ليس إلا قطرة من بحر شاسع أو ومضة من نور باهر بالنسبة لكل حقوق الإنسان في الإسلام حيث لا يمكن لأحد أن يكتب باستفاضة عن كل هذه الحقوق لأنها تستوعب عشرات المجلدات، وليس هذا الكلام من قبيل المبالغة وإنما هو تعبير متواضع عن الحقيقة ليس إلا.

* * *

مدى أهمية الإنسان في الإسلام

الإسلام ينظر إلى الإنسان باعتباره محور هذا الكون وأهم مخلوق فيه، ومن ثم كرمه الله أيما تكريم، وأحاطه بعنايته ورعايته، وسخر جل المخلوقات لخدمته وسعادته، وجعله خليفة في الأرض وأسجد الملائكة له بعد أن عقد امتحانا بينهما وكان الفوز للإنسان.

يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١).

ويقول: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٢).

ويقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ

(١) الآيات ٣٠-٣٤ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٧٠ من سورة الإسراء.

وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[1].

ويقول: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[2].

ويقول: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[3].

ويقول: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

---

(١) الآية ١٥ من سورة الملك.
(٢) الآية ٢٠ من سورة لقمان.
(٣) الآيات ٣٢-٣٤ من سورة إبراهيم.
(٤) الآيات ٥-١٨ من سورة النحل.

أجل خلق الله هذا الكون الفسيح للإنسان وسخره له وعهد إليه أن يستغله ويستفيد منه، وأطلق له العنان لينطلق في رحابه ما شاء له أن ينطلق، ويبذل فيه من النشاط ما وسعه البذل ويغتنم من خيراته حسبما أراد أن يغتنم مادام ذلك في حدود الشرع وتعاليم الدين، وأباح له أن يتملك الأشياء تملكا خاصا بشروط معينة ووضح له من المبادئ والأحكام ما يضمن حمايته وحماية ممتلكاته.

وهذا كله نابع من اهتمام الإسلام به ومن تقديره له وسيتضح لنا من دراستنا لمقاصد الشريعة أن هذه الشريعة لها مقاصد شتى، وإن مقصد حماية الدين له المرتبة الأولى في الشريعة، ثم بعد هذا نجد أن أغلبية مقاصد الشريعة قد جعلت الإنسان هو محل عنايتها ومحور اهتمامها.

* * *

مقاصد الشريعة

وأثرها في حماية الإنسان

الشريعة الإسلامية تتسم بمقاصدها السامية وغاياتها النبيلة، وهي تتنوع إلى ثلاثة أنواع: ضرورية، وحاجية، وتحسينية.

١- المقاصد الضرورية:

أما المقاصد الضرورية فهي التي لابد منها لقيام مصالح الدين والدنيا، وهي باتفاق الفقهاء تتمثل في خمسة مقاصد حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال.

١- فأما حفظ الدين فقد شرع الله لحمايته الجهاد والعبادات.

فالنسبة للجهاد، فهناك آيات وأحاديث كثيرة في هذا الشأن نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ

(١) الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١).

ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣).

ويقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٤).

ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥).

ويقول الرسول ﷺ: **«لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»** رواه البخاري.

وبالنسبة للعبادات باعتبارها داخلة في نطاق ضرورة حفظ الدين فقد شرع الله بشأنها كثير من الأحكام كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، ومن ثم يقول الرسول ﷺ: **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»**.

وقد تولت كتب الفقه بيان هذه الأمور تفصيلا.

٢- أما ضرورة حفظ النفس فتتعلق بحماية الإنسان.

---

(١) الآيات ١٥-١٦ من سورة الأنفال.
(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنفال.
(٣) الآية ٣٨ من سورة التوبة.
(٤) الآية ١١١ من سورة التوبة.
(٥) الآية ١٢٣ من سورة التوبة.

وقد شرع الله من أجلها تحريم القتل إلا بحقه وشرع وجوب القصاص كما شرع تناول المحرمات عند الضرورة.

٣- وكذلك ضرورة حفظ العقل تتعلق بحماية الإنسان وقد شرع الله من أجل ذلك تحريم الخمر وسائر المسكرات وأوجب الحد في شرب الخمر.

٤- وضرورة حفظ العرض تتعلق هي الأخرى بحماية الإنسان، وقد شرع لذلك تحريم الزنى والقذف ووجوب الحد فيها.

٥- وضرورة حفظ المال تتعلق كذلك بحماية حق الإنسان وقد شرع الله لذلك تحريم السرقة، ووجوب الحد فيها، وتحريم الغصب وتحريم كل أنواع أكل أموال الناس بالباطل.

وسوف نتكلم عن هذه الأمور بشيء من الإيضاح في مباحث خاصة فيما بعد إن شاء الله تعالى، وذلك بعد أن يتبين لنا أن الجانب الأكبر من المباحث الضرورية - بعد ضرورة حماية الدين - تكاد تنحصر في حماية الإنسان وحماية حقوقه.

٢- المقاصد الحاجية:

المقاصد الحاجية في الشريعة هي التي تتعلق بالأحكام التي شرعت للتوسعة ورفع الضيق عن الناس، وذلك كإباحة التمتع بالطيبات بشكل عام - من مأكل وملبس ومسكن وأدوات ركوب وغير ذلك، وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

والفرق بين المقاصد الضرورية والمقاصد الحاجية: أن المقاصد الضرورية يترتب على فواتها فوات الأمور الأساسية المتعلقة بمصالح الدين والدنيا؛ وذلك كضرورة حفظ النفس إذ يترتب عليها الهلاك أو التلف؛ وأما المقاصد الحاجية فلا يترتب على فواتها فوات مثل هذه الأمور الأساسية، وإنما يلحق الناس بفواتها حرج ومشقة لا تصل لدرجة الهلاك أو التلف فمثلا: السجن يترتب عليه لحوق الضيق والمشقة

(١) الآية ٣٣ من سورة الأعراف.

بالمسجون، ولكن لا يترتب عليه فوات الحياة فإن كان ظلماً منعته الشريعة لأنه يحول بين الشخص دون وجه حق وبين مقصد حاجي له وهو حقه في الحرية.

ومثلاً: لو منعت الدولة استيراد سائر الأشياء التي لا تتعلق بصميم الحياة للحق الناس ضيق ومشقة ولكن لا تصل إلى درجة المشقة بهم إلى درجة الهلاك ومع ذلك فهذا تحرمه الشريعة إذا لم يكن ثمة داع يحتم ذلك لأنه يحول دون مقصد حاجي للناس دون وجه حق.

وكذلك لو عمدت الدولة مثلا إلى تصدير كل الفواكه لاشك أن ذلك يترتب عليه حرج ومشقة، ولكن لا تصل بالناس إلى درجة الهلاك، وهذا الأمر تمنعه الشريعة إذا لم يكن ثمة ما يحتمه لأنه يحول بين الناس وبين مقصد حاجي لهم.

وكذلك لو رفعت الدولة الأسعار دون مبرر لترتب على ذلك لحوق مشقة، ولكن لا تصل بهم إلى درجة الهلاك، ومع ذلك تمنعه الشريعة.

وأيضا لو رفعت الضرائب على الناس وأرهقتهم بها دون مبرر فهذا أيضا تمنعه الشريعة لأنه يصادر مقصدا حاجيا من مقاصد الشريعة وهو مقصد رفع الحرج عن الناس قدر المستطاع.

هذا والمقاصد الحاجية في الشريعة تجري في العبادات والعادات والمعاملات والجنايات.

١- **ففي العبادات** شرعت الرخص المختلفة بالنسبة إلى لحوق المشقة بالمرض والسفر، كرخصة الفطر في شهر رمضان لكل من المريض والمسافر، وكرخصة جمع الصلاة وقصرها بالنسبة للمسافر والتيمم بدلا من الوضوء والغسل أثناء فقد الماء وعند تعذر استعماله بسبب المرض.

٢- **وفي العادات** أبيح الاستمتاع بكل ما أحله الله.

٣- **وفي المعاملات** أبيح كثير من أنواع العقود والتصرفات التي تقتضيها حاجات الإنسان كأنواع البيوع والإيجارات والمضاربات.

ورخصت الشريعة في عقود لا تنطبق على قواعد القياس كالسلم والمزارعة والمساقاة والاستصناع مما جرى عليه العرف ودعت إليه

حاجة الناس، كما أحلت الصيد بالكلاب المعلمة وجوارح الطير وغيرها، وأباحت ميتة البحر وميتة الجراد.

٤- **وفي الجنايات** شرعت القسامة. والدية على العاقلة، والحكم باللوث، وما أشبه ذلك.

٣- المقاصد التحسينية:

وأما المقاصد التحسينية: فالغاية منها الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق بشكل عام، وهي تجري في العبادات والمعاملات والجهاد والأخلاق.

١- ففي العبادات شرعت الطهارة وأخذ الزينة عند كل مسجد والتطوع بالصدقة والتطوع بالعبادات بشكل عام.

٢- وفي المعاملات حرمت الشريعة الغش والتدليس والتغرير وبيع الإنسان على بيع أخيه وكل الأمور التي لا تتفق مع مكارم الأخلاق في البيع والشراء.

٣- وفي الجهاد حرمت الشريعة قتل الصبيان والرهبان والنساء ونهت عن المثلة والغدر وقتل الأعزل وإحراق الإنسان ميتا أو حيا.

٤- وفي مجال الأخلاق قررت الشريعة كل ما يهذب الفرد والمجتمع، ومجالات الأخلاق في الإسلام لا تكاد تحصى.

* * *

مدى حماية الإسلام للإنسان

إن حماية الإسلام للإنسان تشمل جميع أطوار حياته، بل وتمتد هذه الحماية إلى ما قبل الحمل به وإلى ما بعد وفاته.

وكذلك لا تقتصر للإنسان على نفسه أو جسمه أو عرضه أو ماله، بل يمتد نطاقها إلى مشاعره وإحساسه.

وأيضا فالشريعة لا تكتفي بحماية الإنسان من غيره، بل إنها في الوقت ذاته تحميه من نفسه إذا كانت أمارة بالسوء.

وسوف يتضح لنا هذا كله من خلال هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

حماية الإسلام للإنسان قبل الحمل به:

قبل وجود الشخص على قيد الحياة وقبل أن تحمل به أمه نرى الإسلام يحرص كل الحرص أن يكون وجوده بالطريق الشرعي وهو طريق الزواج الشرعي الذي تتوافر فيه كل أركان الزواج وشروطه وذلك حماية للفضيلة من جهة، ومن جهة أخرى حماية للنطفة التي يتخلق منها الإنسان أن تكون في مستقر أمين نظيف طاهر وليكتسب كل الحقوق التي أقرها الإسلام له بعد ولادته حياً.

ومن ثم كان تحريم الإسلام للسفاح، فالشخص الذي يأتي سفاح إنما هو كم مهمل في هذه الحياة، هو ضياع في ضياع هو شبح يمضي بين الناس له صورتهم ولكن كل الجسور مقطوعة بينه وبينهم اللهم إلا جسور العداوة والبغضاء والكراهية والحقد والرغبة الجامحة في الانتقام من البشرية جمعاء، وإلا فلماذا جيء به بهذه الوسيلة المهينة التي تسبب له الخزي والعار، وتجعله منبوذاً من الناس جميعاً دون ذنب جناه على أحد.

لماذا جيء به بهذه الوسيلة المهينة التي حرمته من كل حقوقه في الحياة اللهم سوى حق الحياة، فلا حق له في النسب ولا حق له في كل ما يترتب على النسب من حقوق كالإرث والحضانة والولاية على نفسه وحقه في النفقة وغير ذلك من سائر الحقوق الأخرى، لماذا جيء به بهذه الوسيلة المهينة التي أفقدته نعمة دفء الأسرة ونعمة الإحساس بالحنان فلا يشعر به أحد إن جاع أو ظمئ، ولا إن تعرى أو مرض ولا إن حزن أو فرح، يقتات وحده أفراحه وارتياحه، ويجتر وحده آلامه وأحزانه.

لماذا جيء به بهذه الوسيلة التي محت من قاموس حياته تلك العبارات الحانية التي تعطي الحياة مذاقاً معينا لا تعطيه كنوز الدنيا كلها. وهي كلمات الأب والأم والأخ والأخت والعم والعمة والخال والخالة وأولاد هؤلاء.

لماذا جيء به بهذه الوسيلة التي جعلت منه جزيرة نائية عن دنيا البشر رغم أنه يعيش بينهم جسماً بلا مشاعر بلا أحاسيس، حتى ولو سأله أحد من أنت لا يستطيع أن يجيب.

لماذا جيء به بهذه الوسيلة التي جعلت عيون الكل ترمقه شرزاً وترميه بنظرات حداد كالسهام أو أشد منها فتكاً حتى غدت نفسه ممزقة كخرقة بالية مهلهلة لا يتماسك منها شيء بغيره.

لماذا جيء به بهذه الوسيلة التي جعلت منه مخلوقا بغيضا يجلب الخزي والعار لمن أنجبه ومن أنجبته فتتخلص منه بشتى الطرق؛ لأنه يمثل خطرا على سمعتها وشرفها فتلقي به - رغم شدة البرودة أو الحر- في صندوق قمامة أو على رصيف طريق عام أو إمام مسجد أو غير ذلك دون أدنى التزام لآدميته ودون أي عاطفة ممن يفترض أنها كانت عاطفة.

لماذا جيء به بهذه الوسيلة التي جعلته يلقى به في عرض الطريق دون أدنى مبالاة بمصيره الكالح الكثيب ولا بمستقبله المظلم الذي ينتظره ولا بمدى ما يتعرض له من مخاطر. فقد ينهشه كلب جائع أو يلدغه ثعبان أو يفتك به البرد أو الجوع قبل أن تصل إليه يد إنسان وحتى لو قدر له الحياة فما أتعسها من حياة.

لهذا كان تشريع الزواج في الإسلام، وتحريم السفاح، فهل رأيتم إلى أي مدى كانت حماية الإسلام للإنسان، حتى قبل أن تحمل به أمه وقبل أن يفد إلى الحياة؟ هل رأيتم إلى أي مدى كانت حماية الإسلام له وهو لم يزل في غياهب الغيب وفي متاهات العدم.

ولم تقف عناية الإسلام بالإنسان وحمايته له قبل الحمل به عند هذا الحد، وإنما تمتد هذه الحماية لتشمله أيضا قبل زواج أبيه بأمه فيوصي الإسلام أن يختار الرجل امرأة صالحة لينعكس ذلك على الأولاد فيكونوا صالحين أيضا، ومن ثم يقول الرسول ﷺ :**«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»**، ويقول:**«تنكح المرآة لأربع: لمالها وحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**.

ويقول:**«خير نسائكم من إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»**، ويحذر الإسلام من التزوج من غير المتدينة حتى ولو كانت جميلة ومن ثم يقول الرسول ﷺ:**«إياكم وخضراء الدمن، فقيل: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»**،

وهذه كله مراعى فيه مدى حرص الإسلام على حماية النسب من الاختلاط وحماية النسب ليست إلا حماية للإنسان.

وكما حرص الإسلام على اختيار المرأة الصالحة فإنه حرص أيضا على اختيار الرجل الصالح، ولهذا يقول الرسول ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**».

وهذه التشريعات الإسلامية إنما هي تشريعات وقائية المقصود بها درء الخطر قبل وقوعه حماية للفضيلة وحماية للإنسان الذي لم يوجد بعد ولكنه على أمل الوجود في المستقبل.

فيا ترى هل هذه المعاني الإسلامية، وتلك التدابير الاحترازية، التي قررها الإسلام لحماية الإنسان قبل وجوده يعرف الغرب عنها شيئا؟ إنهم لا يبالون بهذه المعاني، ولا يعيرونها اهتماما فهي أبعد ما تكون عنهم، وهم أبعد ما يكون عنها بعد ما بين الفضيلة والرذيلة، وبعد ما بين الشر والخير وما بين الظلمات والنور.

إنهم يسيئون إلى الطفولة أبشع إساءة في ذات الوقت الذي يقيمون لها عيدا، وليتهم ما أقاموا لها عيدا، ثم حرصوا أن يكون مجيئها إلى الحياة بطريق نظيف مشروع لا بطريق ملوث حرام.

إنهم يئدون الطفولة، وحل الرذيلة، ويلقون بها في مهاوي الضياع قبل أن توجد ثم يقيمون لها عيدا وليتهم أقاموا عليها مأتما وعويلا.

أما الإسلام فإنه يحصن الطفولة بسياج الأمان والفضيلة قبل أن توجد، ثم لا يأبه بعد ذلك أن يكون لها عيد، أو لا يكون لأنه يهتم بالجوهر ولا تعينه الشكليات.

ونحن نقلدهم في إقامة هذا العيد، وننافسهم بعرض كل فنون الرقص فيه بما يتعارض كل التعارض مع مبادئ الإسلام وتعاليمه.

ولو أننا التزمنا منهج الله لمنعنا هذا البذخ والإسراف فيما يسمى بعيد الطفولة، ولو وفرنا كل ما ينفق على الرقص وغيره في هذا العيد، وأنفقناه على مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، وعلى كل المؤسسات التي تعمل على تنشئة الطفل تنشئة إسلامية خالصة لو فعلنا ذلك لكان أجدى وانفع للأمة

وأجلب لرضاء الله بدلاً من هذا العبث الذي يؤذي مشاعر كل مؤمن غيور على دينه.

حماية الإسلام للجنين:

إن حماية الإسلام للجنين تتمثل في أمور كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

١- لا يجوز الاعتداء عليه بإجهاض أمه وإسقاطه، لأن ذلك يعتبر بمثابة قتل النفس في الإسلام.

ولا تبيح الشريعة إسقاط الجنين إلا إذا ترتب على عدم إسقاطه خطورة على حياة الأم فحينئذ يجوز الإجهاض بإشارة طبيبين مسلمين عدلين وذلك ارتكابا لأخف الضررين.

فإن أسقط الجنين لغير هذا السبب، كما لو كان ذلك بسبب جناية على أمه أو بسبب تنظيم النسل مثلا، يعتبر جريمة في نظر الشريعة الإسلامية وله عقوبة معينة فضلاً عن العقوبة الأخروية.

٢- إذا خافت الحامل على جنينها، جاز لها الإفطار في رمضان، وعليها القضاء عند جميع الفقهاء، ويرى البعض أن عليها مع القضاء كفارة، وتتمثل في إطعام مسكين وجبة تكفيه، ويرى الأحناف وبعض آخر من الفقهاء الاكتفاء منها بالقضاء دون الكفارة، وهذا الرأي الذي نميل إليه؛ لأنه يتفق مع سماحة الإسلام ويسره، ولأنه يتلاءم مع رحمة الإسلام بالجنين، لأن إيجاب الكفارة على الأم هنا قد يحول دون إفطارها رغم الخوف على الجنين.

٣- إذا طلقت الحامل أو توفى عنها زوجها لا يجوز لها الزواج قبل وضع الحمل باتفاق الفقهاء.

٤- أجازت الشريعة الإسلامية الوصية للحمل والوقف عليها مادام في ذلك مصلحة له.

٥- لو مات أحد أقارب الجنين، الذين تربطهم بالميت علاقة وراثة، فحينئذ يوقف له من التركة أكبر النصيبين على تقدير كونه ذكرا أو أنثى.

ومن ثم تقسم التركة مرتين تقسيماً حسابياً لا تقسيماً حقيقياً، فتقسم في

إحداهما على الورثة على تقدير كونه ذكراً، وتقسم في المرة الثانية على تقدير كونه أنثى ثم يوقف له أكبر النصيبين منهما احتياطا إلى حين التأكد من ولادته حياً لمعرفة كونه ذكراً أم أنثى.

فإن ولد الجنين حياً أخذ النصيب الموقوف له إن كان هو ما يستحقه، فإن كان الموقوف له أكبر مما يستحقه أخذ نصيبه منه ورد الباقي إلى من يستحقوه من الورثة.

وإن ولد الجنين ميتا رد الموقوف له، على من يستحقونه من الورثة.

هذا ويعامل الورثة الذين مع الجنين بأسوأ التقديرين إلى أن تتبين حالته، فمن يكون منهم وارثاً على تقدير ذكورة الجنين وغير وارث على تقدير أنوثته قدر الجنين أنثى في حقه، ولا يأخذ الإرث شيئا إلى أن تتبين حالة الجنين ومن يكون منهم وارثا على تقدير أنوثة الجنين، وغير وارث على تقدير ذكورته قدر الجنين ذكرا في حقه، ولا هذا يأخذ الوارث شيئا إلى أن تتبين حالة الجنين.

وإن كان نصيب بعض الورثة على تقدير ذكورة الجنين أكبر، وعلى تقدير أنوثته أقل، قدر الجنين ذكرا في حقه، ويأخذ هذا الوارث النصيب الأقل وإن كان نصيب الوارث على تقدير ذكورة الجنين أقل وعلى تقدير أنوثته أكبر قدر الجنين أنثى في حق هذا الوارث، ويأخذ هذا الوارث النصيب الأقل، أما إن كانت حالة الوارث لا تتأثر يكون الجنين ذكرا أو أنثى فحينئذ يأخذ نصيبه كاملا غير منقوص.

وهذا كله من باب الاحتياط لهذا الجنين، لأن التركة إذا وزعت كلها على الورثة قبل ولادته، فإنهم قد يتصرفون فيها، فإذا ولد بعد ذلك لا يجد شيئاً من التركة، ويترتب على ذلك إلحاق الضرر به.

والقول بوقف أكبر النصيبين للجنين، هو قول جمهور الفقهاء، ولكن ذهب بعضهم إلى القول بوقف التركة كلها من أجل هذا الجنين زيادة في الاحتياط.

وهذا كله رغم أن الجنين لا تتوافر فيه شروط الإرث كاملة، إذ إن من شروط الإرث التحقق من حياة الوارث قبل موت المورث، والجنين

قد يكون ميتا حال موت المورث وقد يكون حيا، بل قد يكون حمل المرأة كاذبا وليس حقيقيا، كما لو كانت بطنها منتفخة فتتوهم أنها حامل وليست كذلك، بل قد تنقطع عنها الدورة الشهرية لمرض بها فتتوهم أنها حامل كذلك أيضا.

ورغم ذلك فقد قرر جمهور الفقهاء وقف أكبر النصبين للجنين استثناء من شرط التحقق من حياة الوارث بعد موت المورث حماية لمستقبل هذا الجنين وذلك انطلاقا من مبدأ حماية الإسلام للإنسان. وهذا مع ملاحظة أن الوقف هنا ليس من قبيل التوريث وإنما من قبيل الاحتياط ليس إلا.

* * *

حماية الإسلام للمولود

إذا ولد الجنين حيًا ثبت له كثير من الحقوق في الإسلام:

فمنها حقه في النسب:

وهذا الحق يعتبر من أهم الحقوق التي قررها الإسلام للأولاد تجاه آبائهم وسائر أقاربهم، لأن هذا الأمر يعتبر هو الحلقة الأولى في سلسلة الحلقات التي تربط الفرد بالمجتمع وتجعل منه كيانا فيه بحيث يصير كخلية سليمة في جسم نابض بالحياة ويكون عضوا نافعا فيه فينفعل به ويتفاعل معه يحس بإحساسه ويسعد بسعادته ويدمي لما يصيب مجتمعه من محن، ولذا يقول الرسول ﷺ: **«مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»** متفق عليه.

ولكن لو انعدمت حلقة النسب هذه لانعدام أغلب الحقوق الأخرى تبعا لذلك، اللهم إلا بعض ما توفره الدولة من رعاية، وشتان ما بين أب يعطي أقصى ما يستطيع، وهو سعيد بعطائه، وأم تتفانى في سبيل إسعاد أولادها بعاطفة جياشة وغريزة طبيعية تنبعث من كل كيانها.

شتان ما بين عطاء هذين وعطاء دولة أفرادها موظفون ومشغولون بالدرجة الأولى بهمومهم الخاصة ومطالب أولادهم لا بأولاد غيرهم.

ثم لو وفرت الدولة لهؤلاء المحرومين من النسب كل مطالبهم المادية فهناك أمور أخرى لا يمكن أن توفرها لهم حيث لا تملك ذلك وهذه الأمور هي المتعلقة بالنواحي المعنوية كعاطفة الحنان والحب والرحمة، وأمثال هذه المعاني التي تتوافر في جو الأسرة دون غيرها.

ومن ثم فالأب الذي يجحد نسب ولده يعلم أنه منه يكون قد أرتكب أفظع جرم في حقه كما لو كان قد قتله بل أفظع من ذلك بكثير، ومثل هذا الأب يكون قد تجرد من كل معاني الرحمة والإنسانية، ومن ثم يقول الرسول ﷺ :«... **وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين**».

والنسب في الإسلام يثبت بواحد من أمور ثلاثة:

الأول: الزوجية والإقرار و البينة:

والمراد بالزوجية التي يثبت بها النسب الزوجية: الزوجية القائمة بين الزوجين إلى وقت بداية الحمل، فقيام الزوجية إلى وقت بداية الحمل يعتبر قرينة قوية في إلحاق الولد بالزوج دون حاجة إلى إقرار من الزوج أو بينة على ذلك، ومن ثم يقول الرسول ﷺ :«**الولد للفراش وللعاهر الحجر**».

وهناك شروط وتفصيلات أخرى كثيرة تتعلق بحق النسب ليس هنا مجال الخوض فيها، وإنما هذه مجرد إشارة عابرة، نبين فيها كيف كانت عناية الإسلام بالمولود حين قرر له حق النسب.

هذا ومن الحقوق الأخرى التي قررها الإسلام للمولود سوى النسب حقه في الرضاعة وحقه في الحضانة وفي الولاية على نفسه وحقه في الولاية على المال، وحقه في النفقة إن كان فقيرا وهذه كلها مباحث كبيرة لا يتسع المقام هنا لإفاضة القول فيها.

الثاني: مرحلة الشباب:

للشاب في الإسلام تجاه ذويهم حق الإرشاد والتوجيه والتعليم وغرس مبادئ الإسلام الفاضلة في نفوسهم والإنفاق على المريض منهم، كما أن لهم حقوقًا أخرى كثيرة تجاه الأمة ليس هنا مجال الإفاضة فيها.

الثالث: الآباء والأمهات:

لهم في الإسلام كثير من الحقوق تجاه أولادهم من أهمها: الطاعة فيما ليس بمعصية ومصاحبتهم بالمعروف والقيام بأمر الضعيف والفقير منهم.

وتوجيهات الإسلام في هذا الشأن لا تكاد تحصى:

نذكر منها قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (١).

وقال ﷺ: «أنت ومالك لأبيك».

وقال: «أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وولده من كسبه فكلوا من أموالهم».

وقال حينما سأله رجل عن أحق الناس بحسن صحابته فأجابه عليه السلام: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك».

حماية الإنسان لمشاعر الإنسان:

إن حماية الإسلام للإنسان لم تقف عند حد حماية نفسه وعقله وعرضه وماله، وإنما يمتد هذه الحماية إلى مشاعره وإحساسه.

والأدلة على ذلك كثيرة:

فمنها قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا

(١) الآيات ٢٣-٢٤ من سورة الإسراء.
(٢) الآيات ٢٦٣-٢٦٤ من سورة البقرة.

مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وقال ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل إن ذلك يحزنه**» متفق عليه.

وقد روى هذا الحديث في سنن الترمذي بلفظ: «**لا يتناجى اثنان دون واحد فإن ذلك يؤذي المؤمن والله ﷻ يكره أذى المؤمن**».

ويقول: «**لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب أحدكم على خطبته**».

ويقول ﷺ: «**سباب المؤمن فسوق**».

ويقول: «**بحسب أمريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**».

حماية الإسلام للإنسان بعد وفاته:

وكما شملت حماية الإسلام الإنسان جميع أطوار حياته بل وما قبل حياته، فإنها شملته أيضا بعد الوفاة، فأوجب الإسلام له حق الغسل والتكفين والصلاة عليه ودفنه.

ومن حماية الإسلام للإنسان بعد وفاته أيضا، أنه أمرنا بذكر محاسن الموتى، ونهانا عن ذكر مساوئهم، إذ يقول عليه السلام: «**اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم**». سنن أبي داود.

ومن حقوقه في الإسلام بعد الوفاة أداء ما عليه من ديون وتقديم ذلك على حق الورثة في الإرث، لأنه يعذب بما عليه من ديون ولا يرفع العذاب عنه إلا بأداء ديونه للغرماء.

قد ورد في هذا الشأن أن النبي ﷺ أتى بجنازة ليصلي عليها، فلما تقدم للصلاة عليها قال: «**هل عليه دين؟**» قالوا: نعم ديناران، فقال: «**هل ترك لهما وفاء؟**» قالوا: لا، فتأخر النبي ﷺ وقال: «**صلوا على صاحبكم**» فقالوا: لم لا تصلى عليه يا رسول الله؟ قال: «**ما تنفعه صلاتي وذمته مرهونة، إلا أن**

(١) الآيات ١١-١٢ من سورة الحجرات.

قام أحدكم فضمنه» فقال أبو قتادة هما علي يا رسول الله، فصلى عليه النبي ﷺ، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ لأبي قتادة:**«ما فعل الديناران؟»**قال يا رسول الله: إنما دفناه أمس، ثم أتاه بعد غد فقال له:**«ما فعل الديناران»** قال: قضيتهما يا رسول الله، قال:**«الآن بردت عليه جلدته»**.

ومن حقوقه في الإسلام أيضا تنفيذ وصاياه في حدود ثلث الباقي من التركة بعد تجهيزه وأداء ديونه.

وهذا إن كان له ورثة فإن لم يكن له ورثة وجب تنفيذ كل وصاياه متى توافرت شروط صحتها وإن استغرقت كل الباقي من التركة بعد تجهيزه وأداء ديونه.

والوصية وإن كانت عملاً من أعمال البر والخير، إلا أنه مراعى فيها حق الموصي له، فقد فتح الله له بابا من أبواب رحمته ورضوانه في اللحظات الأخيرة من حياته عن طريق الوصية، حيث أنها تظل تزيد من رصيد حسنات الشخص بعد مماته وتقلل من رصيد سيئاته طالما كان أثرها باقيا في الحياة.

ومن ثم يقول الرسول ﷺ :**«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له»** والصدقة الجارية المراد بها الوصية فهي إحدى الثلاث التي لا تنقطع الأعمال فيها بالموت.

ويقول ﷺ :**«من مات على وصية مات على سبيل وسنة وتقى وشهادة ومات مغفورا له»**.

ويقول:**«إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم في آخر أعماركم زيادة في أعمالكم»**.

والحكمة في أن الشريعة جعلت الوصية في حدود ثلث تركة المريض مرض الموت الذي له ورثة، ولم تجز منه بكل التركة، فذلك حتى لا يتعرض الورثة بعد وفاته، لذل الحاجة، والمسغبة خاصة، إذا كانوا صغارا لا يقدرون على الكسب، ومن ثم فقد روي عن سعد ابن أبي وقاص ﷺ قال: جاءني رسول الله ﷺ يعودني في عام حجة الوداع من

وجع اشتد بي، فقلت: يا رسول الله قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي؟، قال:«**لا**»، قلت: فبالشطر يا رسول الله، قال:«**لا**»، قلت: بالثلث، قال:«**الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس**».

فالشريعة هنا لم تهمل حق الورثة، وبالتالي لم تحرم المريض مرض الموت من فرصة المساهمة في البر قبل فوات الأوان، وأوجبت إخراج وصيته من التركة قبل حقوق الورثة مراعاة لما يعود عليه من خيرها في الآخرة.

* * *

حماية الإسلام للإنسان من نفسه

إن حماية الإسلام للإنسان لا تقف عند حمايته من غيره وإنما تمتد لتشمل حمايته من نفسه إذا سولت له إتلاف جسمه أو عقله أو عضو من أعضائه أو ماله.

ومن ثم نرى الإسلام قد حرم الانتحار وشرب الخمر وتعاطي كل أنواع المخدرات كما حرم كثيرا من التصرفات التي تعود بالضرر المباشر على صاحبها.

تحريم الانتحار:

فالنسبة لتحريم الانتحار: يقول الله ﷻ:﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [1]، ويقول: " ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ [2].

ويقول الرسول ﷺ:«**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا**» [3].

تحريم الخمر:

(١) الآية ١٩٥ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٢٩ من سورة النساء.
(٣) سنن الترمذي ٤-٣٨٦.

وبالنسبة لتحريم الخمر يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (١).

ويقول الرسول ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» وهذا الحديث يشمل سائر أنواع المخدرات، فهي محرمة في الشريعة، وذلك لأنها تهدر أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان ألا وهي نعمة العقل، بل وتكاد هذه المخدرات أن تجرد الإنسان من آدميته، وتجعله أبشع وأشرس من أي حيوان مفترس، والمخدرات إذا استشرت في أمة تكون كالجحيم المستعر تأتي على الأخضر واليابس فيها ويكون أول ما تأتي عليه فيها القيم والأخلاق والدين والمال والإنسان.

ويكفي أن نعرف مدى بشاعة المخدرات ومدى تأثيرها السيئ على الأمة نقرأ سويا هذا التحقيق الصحفي المفزع الذي طالعتنا به جريدة الأخبار في صفحتها الثالثة يوم ١٩٨٨/١٠/١٧ تحت عنوان " خطر يهدد مصر ".

وهذه بعض فقرات منه لابد لنا أن نضعها نصب أعيننا ليحذر بعضنا بعضا، ويوصي بعضنا بعضا بالابتعاد عن هذا الخطر الفادح، وذلك بالتمسك بأهداب الشريعة، فلا عاصم لنا منه إلا بالتمسك بها فتعاليمها السامية قد حذرتنا من هذا المصير منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، ولكننا لم نستجب لها فهلا آن الأوان لنترسم تعاليمها حتى نتخلص من شرور أنفسنا التي نجني بها على أنفسنا.

يقول التحقيق في جانب من فقراته تحت عنوان " الأرقام المخيفة ".

ماذا تقول الأرقام؟ الأرقام هنا مخيفة ومرعبة وهي هنا على ألسنة مسؤولين وباحثين ودارسين لهذه المشكلة الخطيرة واللعينة.

العميد عصام الترساوي - خبير مكافحة المخدرات المُخلقة – يقول: إن في مصر الآن ما لا يقل عن اثنين مليون شاب مصري أدمنوا أخطر

(١) الآيات ٩٠ - ٩١ من سورة المائدة.

أنواع المخدرات كالهيروين والماكستون فورت، والأقراص المخدرة، وهؤلاء المدمنون إن لم نسرع بإنقاذهم، فلهم ثلاث نهايات: الموت أو الجنون أو الانتحار.

يقول العميد عصام الترساوي: إن أكثر من شاب يموت يوميا بهبوط مفاجئ في القلب، بسبب الإدمان على هذه السموم القاتلة، لا يوجد إحصاءات دقيقة عن ذلك، ولكني أؤكد أن أكثر من ١٥ شابا مصريا يموتون يوميًا بسبب الإدمان على المخدرات.

ويشارك الدكتور صالح ثابت أستاذ الطب النفسي رأي العميد عصام الترساوي ويقول: إن البعض الذين جاؤوا للعلاج وبعد شفائهم عادوا إلى نفس مناخ الإدمان فعاودوا تناول المخدرات مرة أخرى، عندما أسأل عن أحدهم يكون الرد لقد مات بالسكتة القلبية.

الأرقام مذهلة ومخيفة ورحلة الأرقام يشيب من هولها الولدان.

إن الدكتورة نادرة وهدان الباحثة في معهد التخطيط القومي تضع رقماً مذهلا لسوق المخدرات. تقول في بحث هام وخطير أجرته عام ١٩٨٦ عن الآثار الاجتماعية والاقتصادية لمشكلة المخدرات.

تقول: إنه في عام ١٩٨٦ بلغت مشتريات مصر من المخدرات أربعة مليارات دولار.

وتقول: إنه في عام ١٩٨٧ - بعد طبع بحثها- قفزت المشتريات إلى ١٦ مليار دولار.

وفي سنة ١٩٨٨ وصل إنفاقنا على المخدرات إلى ٢١ مليار دولار.

ومعنى أرقام الدكتورة نادرة وهدان: إن ما ننفقه على المخدرات في عام يكفي لحل مشكلة الإسكان نهائيا وحل مشكلة بناء المدارس حلا نهائيًا ودفعًا كبيرًا لخطة التنمية الاقتصادية واستصلاح الآلاف من الأراضي الزراعية.

وهناك أيضا بين فقرات هذا التحقيق الصحفي فقرة بعنوان " جرائم المدمنين " وقد جاء في هذه الفقرة الأتي:

" رحلة الأرقام مخيفة، إحصائيات أجهزة الآمن تقول إن ٧٠ في

المائة من الجرائم التي يشهدها المجتمع المصري الآن بسبب المخدرات.

علماء النفس يقولون: إن الجرائم البشعة والتي لا يمكن أن يتصورها العقل البشري، ارتكبها مدمنون، ولو أنهم في حالة أخرى غير حالة الإدمان فإنهم لن يرتكبوها.

فمثلاً: حوادث الاغتصاب. لا أحد في مصر لا يعلم أن عقوبة الاغتصاب أصبحت الإعدام، ورغم ذلك فهي في زيادة مستمرة، والسبب أن الذي يرتكبها يكون في حالة غيبوبة كاملة عما يدور حوله، وفي حالة نسيان كاملة للعقاب ويتحول إلى وحش كاسر بسبب الإدمان.

ومثلاً: الجرائم الجديدة التي قلبت قوانين الطبيعة والشرائع السماوية كقتل الابن لأمه أو أبيه، أو قتل الأب لأولاده، تلك الجرائم التي كانت دائما نادرة الحدوث ازدادت في هذه الفترة، وذلك أن المخدرات تذهب بالعقل فلا يتمكن المدمن من التمييز بين الأب وأي إنسان غريب، وبين الأم وأي امرأة في الطريق العام، وبين الابن وأي طفل آخر.

ومثلاً: السرقة. سواء سرقة السيارات أو سرقة الأهل، كل هذا بسبب الإدمان، فالمدمن عندما يحتاج إلى شمة هيروين يفعل أي شيء وكل شيء.

ومثلاً: الدعارة السرية لقد انتشرت ولا أحد يعرف حجمها الآن ولكنها بسبب الإدمان.

وجاء في هذا التحقيق أيضا فقرة أخرى بعنوان " دفاعات المجتمع ".

" رحلة الأرقام مخيفة ومذهلة. لقد تمكن تجار المخدرات من اختراق دفاعات المجتمع. والأرقام تقول: أن عقوبة الجلب هي الإعدام، وإن رجال الشرطة قد قبضوا مثلا في عام ١٩٨٦ على أكثر من ١١ ألف متهم بالتجارة في المخدرات، وأن قاضيا واحد قد حكم في عام واحد على ١٨ تاجر بالإعدام وإن حكماً واحداً لإعدام تاجر مصري واحد لم ينفذ ".

هذه هي بعض فقرات هذا التحقيق الصحفي بشأن مدى خطورة المخدرات على بلادنا، وهي تعتمد على بحوث علمية، الشأن فيها الموضوعية وعدم الإثارة أو التهويل كما تستند إلى تقديرات وزارة

الداخلية.

ونرى أن مخاطر هذه الكارثة التي نكبنا بها أفدح من أي حرب مع إسرائيل، لأنها تدمير داخلي العدو، فيها هو نفوسنا التي بين جنبينا لأنها لم تنشأ تنشئة صالحة ولم تربّ تربية حقيقية على مبادئ الشريعة وتعاليمها، وإنما ربينا وحوشا كاسرة داخل كياننا بعيدا عن الشريعة.

وعلاج هذه المشكلة ليس بالأمر الهين أو اليسير، إنه يحتاج إلى تضافر الأمة بأسرها مع إخلاص النوايا واستعمال منتهى الشدة والحزم مع هؤلاء الخارجين على قيم المجتمع وأخلاقه، وتطهير المجتمع منهم، ثم وضع منهج تربوي ديني يعتمد بالدرجة الأولى على الكتاب والسنة وحياة الصحابة رضوان الله عليهم، وأن يلحق بكل مدرسة مسجد، أو مصنع وعدم التدريس في أوقات الصلاة حيث يجب أن يكون جميع التلاميذ حينئذ في المسجد يؤدون الصلاة مع أساتذتهم، ثم يقوم الأساتذة المختصون في الشريعة، بوعظهم وبيان قيم الإسلام وأخلاقه لهم مع حثهم عليها وتحذيرهم من مغبة مخالفتها.

ثم لابد أن يجيد كل واحد منهم حرفة معينة، يحدد له أجر على عمله في المصنع مقابل عدد معين من الساعات، كثلاث ساعات مثلا، يعملها يوميا مع الدراسة، ولا يهم شحن اليوم الدراسي بكثرة المعلومات، وإنما المهم مزج العلم بالعمل بالعبادة بالسلوك والأخلاق، ثم يدخر نصف أجره على الأقل إلى نهاية تعليمية، فيستفيد به في أي مشروع، يواجه به مستقبله، وهذا أيضاً مع التقليل من الإجازة الصيفية، قدر المستطاع بحيث لا تزيد عن شهر مثلا، ودفع حافز أكبر لكل من المدرس والطالب عنها.

ثم هذه الملايين المعطلة من الشباب لابد من استغلال طاقاتهم في العمل والإنتاج حتى تكون أدوات بناء في صرح المجتمع لا معاول هدم فيه، لأن الشباب طاقة وحيوية إن لم توجه للعمل المثمر لصالحها وصالح الأمة لا يؤمن عليها أن تتجه للفساد والإفساد.

وباختصار شديد نقول: إن تحفيظ القرآن للشعب كله والعمل على

التمسك بأخلاقه وتعاليمه مع استغلال طاقات الشباب في العمل والإنتاج الحقيقي لا في وظائف شكلية يساوي توفير أكثر من ٢٠ عشرين مليار دولار كل عام تهدر في المخدرات والحفاظ على ملايين الشباب - الذين هم الثروة الحقيقية للأمة - من الضياع والسقوط في بؤرة الجريمة والاحتراق بنار المخدرات. هذا ما نرجو العمل به ابتغاء وجه الله تعالى، فحفظ القرآن يعتبر عاصما لصاحبه من الزلل، على امتداد حياته، حتى وإن زلت به قدمه في بعض الحالات باعتبار بشريته وعدم تنزيهه عن الخطأ، فإنه ما يلبث أن يثوب إلى رشده؛ لأن القرآن معه يقوم اعوجاج سلوكه ونوره يهديه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذا كتاب الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (١).

أي للسلوك الأمثل والنافع للإنسان في كل مناحي الحياة.

* * *

تحريم الإسراف والتبذير:

لما كان الإسراف والتبذير ضارين بصاحبهما وبأهله وأولاده وكل من يقوم بإعالتهم بل وبالمجتمع، أيضا نرى أن الإسلام يحذر منهما كل التحذير ويحدد المنهج الأمثل في الإنفاق الذي لا يترتب عليه ضرر بصاحبه، ولا إضرار بغيره وفي الوقت ذاته لا يمنعه من التمتع بطيبات الحياة الدنيا بقول الله ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢).

ويكفي في التشنيع على التبذير والمبذرين في أن الله جعل المبذرين أخوة الشياطين.

---

(١) الآية ٩ من سورة الإسراء.

(٢) الآيات ٢٦-٢٩ من سورة الإسراء.

فالمنهج الأمثل للإنفاق في الإسلام هو التوسط بين التقتير والإسراف كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾.

والإنسان إذا تجاوز حد الاعتدال إلى الإسراف والتبذير وجب الحجر عليه في الإسلام كما يقرر جمهور الفقهاء وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (١)

منهج الإسلام في حماية الإنسان:

انفرد الإنسان بوضع منهج فريد من نوعه في حماية الإنسان وحقوقه، وهذا المنهج يتمثل في أنه أحاط حقوق الإنسان بالعديد من الضمانات التي تتعاون جميعها وتتلاحم لتكون سياجا منيعا يحول دون إهدار هذه الحقوق.

وهذه الضمانات تتنوع إلى تحذيرات أخروية وعقوبات دنيوية وقيم أخلاقية.

التحذيرات الأخروية من مغبة الظلم:

ما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت بشأن التحذير من مغبة الظلم بحيث لا يمكن لمسلم يخاف الله ﷻ أن يقدم على ظلم أي أحد - مسلم وغير مسلم - حتى لا يعرض نفسه لغضب الله وعذابه يوم القيامة.

وهذه بعض نصوص الكتاب والسنة الواردة بهذا الشأن نعرضها دون تعقيب حيث لا تحتاج إلى تعقيب ونرجو أن يكون لنا فيها عظة وعبرة.

يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ (٢).

(١) الآية ٥ من سورة النساء.
(٢) الآيات ٤٢-٤٣ من سورة إبراهيم.

ويقول: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١).

ويقول: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (٢).

ويقول الرسول ﷺ: **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»**.

ويقول: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**.

ويقول: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»** (٣) متفق عليه.

ويقول: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منها اليوم قبل ألاَّ يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»** (٤).

ويقول: **«أتدرون من المفلس؟»** فقالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: **«إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»** (٥).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما " أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: **«اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»** (٦).

---

(١) الآية ١٨ من سورة غافر.
(٢) الآية ١١٣ من سورة هود.
(٣) رياض الصالحين ص ١٢١.
(٤) المرجع السابق ص ١٠١.
(٥) رياض الصالحين ١١٧ نقلا عن صحيح مسلم.
(٦) فتح الباري لصحيح البخاري ٥/١٠١.

وروي عن أبي سلمة ﷺ أنه كانت بينه وبين أناس خصومة فذكر ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا سلمة اجتنب الأرض فالنبي ﷺ قال :«من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» (١).

ويقول في حجة الوداع:«ألا وإن أحرم الأيام يومكم هذا، ألا وإن أحرم الشهور شهركم هذا، ألا وإن أحرم البلد بلدكم هذه، ألا وإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم، قال: اللهم فأشهد» (٢).

ويقول:«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو مؤمن قتل مؤمنا متعمدا» سنن أبي داود.

ويقول:«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (٣).

ويقول:«المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» (٤).

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (٥).

وعن أبي موسى ﷺ: قال رسول الله ﷺ:«إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (٦) " متفق عليه (٧).

ويقول ﷺ:«من اقطتع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال رجل: وإن كان شيئا يسيراً يا رسول الله؟ قال:«وإن كان قضيبا من أراك» (٨) رواه مسلم.

---

(١) فتح الباري لصحيح البخاري ١٠٢/٥.
(٢) فتح الباري لصحيح البخاري ١٠٣/٥.
(٣) سنن ابن ماجة ١٢٩٧/٢.
(٤) المرجع السابق ص ١٢٩٨.
(٥) المرجع السابق ص ١٢٩٨.
(٦) الآية ١٠٢ من سورة هود.
(٧) رياض الصالحين ص ١١٣.
(٨) رياض الصالحين ص ١١٦نقلا عن صحيح مسلم.

ويقول ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

ويقول: «إن أول ما يحكم بين العباد في الدماء» (١).

ويقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون مظلمة فهو شهيد» (٢).

ويقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة».

ويقول: «ظهر المسلم حمى إلا بحقه» (٣).

ويقول: «من جرد مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان» (٤).

ويقول عمر رضي الله عنه: " ظهور المسلمين حمى الله لا تحل لأحد إلا أن يخرجها حد ".

* * *

حرمة ترويع الإنسان في الإسلام

ولا يقف الإسلام في مجال حماية الإنسان عند هذا الحد، وإنما يقرر أن مجرد ترويعه يعتبر ظلما بالغاً، حتى وإن لم يلحقه ظلم مباشر يتعلق بنفسه أو ماله أو غيرهما، فالإيذاء المعنوي لا يقل وزره عن الإيذاء المادي ولذلك يقول الرسول ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً» (٥).

ويقول: «لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم شيء عظيم» (٦).

ويقول: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري فعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار» (٧).

---

(١) رياض الصالحين ص ١٢١.
(٢) سنن الترمذي ٣٠/٤ وقال حديث حسن صحيح.
(٣) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة لفضيلة الشيخ محمد الغزالي ص٣ نقلاً عن الطبراني.
(٤) المرجع السابق نقلا عن الطبراني أيضا.
(٥) المرجع السابق نقلا عن أبي داود.
(٦) المرجع السابق نقلا عن البزار.
(٧) المرجع السابق نقلا عن البخاري.

ولا فرق في الإسلام بين ما إذا كان الشخص الذي لحقه الترويع مسلما أو غير مسلم إذ يحرم هذا الأمر بالنسبة للجميع.

وروي في هذا الشأن أن رجلا من أحبار اليهود يسمى زيد بن سعنة أقرض النبي ﷺ قرضا كان قد احتاج إليه لينفقه في شؤون المؤلفة قلوبهم، ثم ذهب إلى الرسول ﷺ ليطالب بدينه، فيقول: " أتيته - يعني رسول الله ﷺ فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ.

قلت له: يا محمد، ألا تقضيني حقي فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا مطلا، ولقد كان لي بمخالطتكم علم.

ونظر إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به، ما أرى فوالذي نفسي بيدي، لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك.

فقال الرسول ﷺ :**«يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير ذلك، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر فأعطه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما روعته».**

* * *

العقوبات الدنيوية في الإسلام وأثرها في حماية الإنسان

مع أن الله ﷻ قد توعد الظالمين بأقسى أنواع العذاب في الآخرة، فإنه ﷻ يعلم أن من الناس من لا يردعهم الوعيد الأخروي لضعف إيمانهم ومن ثم فقد شرع بشأنهم أحكاما تتضمن عقوبات دنيوية عاجلة زجرا لهم وردعا لغيرهم ممن تسول لهم أنفسهم العدوان والظلم لأي أحد من الناس.

ومن ثم كان القصاص وكانت الحدود والتعازير المختلفة حماية للإنسان من ظلم غيره له ومن ظلمه لنفسه أيضا وتحقيقا لأمنه وأمانه.

وبالطبع ليس ثمة مجال للخوض في تفصيلات القصاص أو الحدود والتعازير، لأنها تستوعب مجلدات ضخمة، ومجالها هناك في رحاب أمهات كتب المذاهب الفقهية.

ويكفي هنا أن نشير إلى موضوع فقهي واحد نستشف من خلاله مدى حماية الإسلام للإنسان، وإن كان هذا الموضوع لا يكاد يشغل بال أحد، بل ولا يعرفه كثير من الناس بسبب عدم تطبيق الشريعة منذ آماد بعيدة.

وهذا الموضوع هو موضوع القسامة، وسبب اختيارنا له هنا لأنه يبين لنا كيف أن دم الإنسان لا يمكن أن يضيع هدرا في الإسلام، فليس في الإسلام قضية قتل تقيد ضد مجهول أبدا، فإذا لم يعرف القاتل بعينه وجه الاتهام إلى أهل البلدة التي وجد بها أو قريبا منها، إن كانت غير مطروقة لغيرهم، أو إلى الحي الذي وجد فيه القتيل، إذا كان غير مطروق للغير، كما لو وجد في حارة مغلقة مثلاً، فيجب عليهم الدية بعد القسامة وعدم معرفة القاتل.

وإن وجد القتيل في مكان عام، ولم يعرف القاتل تحمل بيت المال الدية.

وكأن الشريعة تقول لنا إذا لم يعرف القاتل بعينه يكون هناك تقصير معين إما من أهل الجهة الخاصة التي وجد فيها القتيل، وإما من جهة الدولة إذا وجد القتيل في مكان عام، وهذا التقصير لابد من تحمل مسؤوليته تجاه أهل القتيل.

بل ولأن الشريعة تقول لنا أيضاً لابد من تضافر الجميع على حماية أمن المجتمع، وحماية كل فرد فيه، ولا يجوز التستر على أي جريمة بشكل عام، ولا على جرائم القتل بنحو خاص، فإن لم يعرف القاتل يكون هناك شبهة التستر أو التقصير، في منع وقوع هذه الجريمة، وشبهة التستر أو التقصير هنا كافية في تحمل الدية كما ذكرنا.

ولسنا هنا بصدد تفصيلات القسامة فتفصيلاتها هناك في أمهات كتب الفقه الإسلامي.

وإنما أردنا فقط إعطاء لمحة عن مدى أهميتها في حماية دم الإنسان من أن يضيع هدراً، وأن الشريعة الإسلامية قد انفردت بهذا القانون الذي ليس له في دنيا التشريعات نظير حتى في هذا القرن الذي كثر المتشدقون فيه بأنه قرن حقوق الإنسان، بينما هو في الحقيقة أكثر القرون إبادة

لحقوق الإنسان خاصة الإنسان العربي المسلم.

القيم الأخلاقية في الإسلام وأثرها في حماية الإنسان:

الإسلام ليس طقوسا شكلية خالية من المضمون، ولا أقوالاً وأفعالاً بينها وبين القلب انفصام شبكي، ولا مجرد كلمات يرددها الناس كالببغاوات دون أن يفقهوا معناها، وإنما هو مبادئ سامية وتعاليم فاضلة تلامس حنايا القلوب أولاً وتمتزج بها ثم تترجم بعد ذلك إلى أقوال وأفعال.

وإن مبادئ الإسلام وتعاليمه يرتبط بعضها ببعض في نسيج واحد، وتتعاون جميعها لتحقيق غاية واحدة، وهي الوصول بالبشرية إلى قمة المثالية في العبادة والسلوك والأخلاق وكل مناحي الحياة.

والقيم الأخلاقية في الإسلام تقوم بدور بارز في تقويم سلوك الإنسان وتهذيب غرائزه وتقليل شروره، وتقويض انحرافاته، وهذا بدوره ينعكس برداً وسلاماً على المجتمع وزوجه وولده وكل من يعنيه أمرهم في الحياة.

والمجتمع الذي يشيع الأمن في ربوعه هو المجتمع الذي يظفر بأكبر قدر من السعادة ويحقق أكبر قدر من الإنتاج ويقطع أوسع المراحل على طريق التقدم والحضارة؛ لأن الأمان يطلق كل ملكات الإبداع في الإنسان، ويحفزه على بذل أقصى ما يستطيع بما يعود عليه وعلى أهله وذويه والمجتمع كله.

وأما المجتمع الذي يجسم الخوف فيه على صدور أبنائه، وتكبل أشباح الرعب فيه خطوات أفراده، لا يطيب المقام فيه للسعادة، بل لا بد لها أن تهرب منه، وتبحث لها عن موطن آمن تستجم في كنفه وتتخذه موطنا لها. و إن مجتمعا كهذا تكون اليد الطولى فيه للفساد وكل عوامل الهدم والتدمير.

والقيم الأخلاقية في الإسلام هي الحارس الأمين على سلوك الأفراد لتكون كل الأفعال والتصرفات في المجتمع ماضية على منهج الله دونما عوج أو خلل، حتى العبادات نفسها إن لم تواكبها أخلاق الإسلام كانت

رياء ونفاقا ويكون ضررها أكثر من نفعها.

ومجالات القيم الأخلاقية في الإسلام يصعب حصرها إذ أن آفاقها تمتد بامتداد آفاق أخلاق القرآن، وأخلاق القرآن تتضمن الالتزام الكامل بكل تعاليمه ومبادئه.

ومن ثم فإن السيدة عائشة رضي الله عنها حينما وصفت أخلاق الرسول ﷺ قالت: «**كان خلقه القرآن**». فهي عبارة في غاية الإيجاز وغاية البلاغة إذ تتضمن قيما فاضلة لا حدود لها. وإلا فمن ذا الذي يستطيع أن يحصي أخلاق القرآن، إن كل العصور الإسلامية التي واكبت القرآن الكريم في رحلته مع الزمن قد اقتبس كل منها من فيض عطائه الثر قيما فاضلة ومعاني سامية جديدة، ولم تتنه عطاءاته بعد، ولن تنتهي أبدا بل سيظل هكذا يعطي الدهور والأزمان قيما فاضلة ومعاني سامية.

ولما كانت أخلاق القرآن وعطاءاته لا تنتهي، وكانت أخلاق الرسول هي أخلاق القرآن فكان جديراً بهذا الوصف الإلهي له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1]. لم يصفه القرآن بجاه ولا سلطان ولا بأي مظهر من مظاهر الدنيا وإنما وصفه بذلك الوصف الذي يعطي الإنسان قيمة حقيقية لا قيمة سطحية وهمية.

ونحن مطالبون من قبل الشريعة بأن نحذو حذو رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وتصرفاته قدر المستطاع، إذ يقول ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [2].

عماد القيم الخلقية في الإسلام:

هو الإخلاص والمراقبة الدائمة لله ﷻ في جميع الأقوال والتصرفات بل وجميع العبادات أيضا حتى لا يشوبها شائبة من رياء أو نفاق، ومن ثم فقد عبر الرسول ﷺ عن هذا المعنى أصدق تعبير حينما سئل عن الإحسان فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم وتكن تراه فإنه يراك**».

فالشأن في المؤمن أن يكون في معية الله دائماً وأبدا، ومن يكون في

(١) الآية ٤ من سورة القلم.
(٢) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

معية الله لا يتصور أن يصدر عنه إلا ما يرضي الله ورسوله، لأنه يوقن أن الله مطلع على خلجات نفسه وحنايا فؤاده، إذ يقول ﷻ: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (١). ويقول: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (٢)، ويقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣). ويقول: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٤).

ومن ثم فأي عمل الإنسان - من صلاة أو زكاة أو حج أو غير ذلك - إن لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بأن شابته أي شائبة من نفاق أو رياء أو سمعة فلا يعتد به في الإسلام ويعتبر كأن لم يكن.

فمثلاً: لو تصدق الشخص بالآلاف أو تبرع بالملايين وكان يبغي من وراء ذلك الشهرة والسمعة فلا قيمة لهذا العمل عند الله تعالى، وقد يتبرع غيره بجنيه واحد أو بأقل وهو خالص النية لله تعالى فيكون مقبولا ويكون ثوابه عند الله عظيما.

وهكذا في كل قول أو عمل إن لم يتوافر فيه الإخلاص الكامل لله تعالى يكون مردودا على صاحبه، فالمظهرية الكاذبة قد يكون لها أي سوق آخر تروج فيه غير سوق الإسلام.

ولذا يقول الرسول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» أي المقياس الحقيقي لأي عمل إنما هو النية الصادقة ولا شيء سواها.

ويقول: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**»، والعمل الذي يغفله الرياء لا

(١) الآية ١٩ من سورة غافر.
(٢) الآية ٣٢ من سورة النجم
(٣) الآية ٧ من سورة المجادلة.
(٤) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

يكون ابدً طيبا ولهذا لا يكون محل قبول في الإسلام.

وقيل له عليه السلام : الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فمن في سبيل الله؟ قال ﷺ:«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«قال الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك».

وعن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ :«إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء من الشرك».

وقال ﷺ :«الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل».

وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ:«إن أخوف ما أتخوف على أمتي الإشراك بالله أما أني لست أقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد بي فأتى به فعرفه الله نعمه عليه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن؟ قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا وأنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال جواد، فقد قيل، ثم أمر به فيسحب على وجهه في النار» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ :«**من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» أي ريحها: رواه أبو داود.

والإنسان الذي يراقب الله ﷻ في أقواله وأفعاله لا يصدر عنه قول أو فعل يتضمن ضررا بأحد أو أذى بمخلوق؛ لأن الرسول ﷺ يقول: لا ضرر ولا ضرار ومن ثم:

١- **فلا يخون أمانة**، لأن الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ (١). ويقول الرسول ﷺ :«**أد الأمانة إلي من ائتمنك، ولا تخن من خانك**».

٢- **ولا يهمل في عمله** لأن العمل يدخل في نطاق الأمانة ولأن الرسول يقول:«**إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**».

٣- **ولا يغش أحدا**، لأن الرسول ﷺ يقول:«**من غشنا فليس منا**»(٢).

٤- **ولا يطفف في الكيل والميزان**، لأن الله ﷻ يقول:﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٣).

٥- **ولا يحتال على القانون ليأخذ حق غيره**، لأن الرسول ﷺ يقول:«**إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر، فأقضي له على نحو ما سمعت منه، فمن قضيت له بغير حقه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار**».

٦- **ولا يأكل مال اليتيم ولا مال أي أحد من الناس ظلما وعدوانا** لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ

---

(١) الآية ٥٨ من سورة النساء.

(٢) أصل هذا الحديث ما روى أن النبي ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فأصابها بلل، قال:«ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال أصابته الماء يا رسول الله، قال:«فلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا».

(٣) الآيات ١-٦ من سورة المطففين.

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [1]، وقولـــه تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [2].

وقولـه تعـالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3].

وقول الرسول ﷺ: **«إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له»** رواه مسلم.

وقوله عليه السلام: **«كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»**.

٨- **ولا يتعامل بالربا** لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [4]..

وقولـه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [5].

ولأن الرسول ﷺ يقول: **«لعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»** ولأن المرابي قد خلا قلبه من كل معاني الرحمة، فبدلاً من أن يمد يد المعونة إلى المضطر إلى المال إذا به يستغل حاجته، فيزيد اضطراره، وكان أحرى به أن يقرضه إلى حين ميسرة، أو أن يتصدق عليه، إن كان ممن يحتاجون الصدقة استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ

(١) الآية ١٠ من سورة النساء.
(٢) الآية ٢٩ من سورة النساء.
(٣) الآية ١٨٨ من سورة البقرة.
(٤) الآيات ٢٧٥-٢٧٦ من سورة البقرة.
(٥) الآيات ٢٧٨-٢٧٩ من سورة البقرة.

إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ولقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ (٢). وقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ ﴾ (٣).

ولقول الرسول ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وما أجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به حسبه» رواه مسلم، ولقوله ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» متفق عليه.

ولأن الرحمة بالحيوان إذا كانت مطلوبة في الإسلام فإنها بالإنسان أشد وأكد، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أن رجلا أصابه ظمأ شديد فنزل بئراً ليرتوي من مائها، فلما خرج منها رأى كلباً يلهث يلحس الثرى من العطش فقال لقد أصاب الكلب من الظمأ مثل الذي أصابني فنزل البئر وملأ خفه وسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له». رواه مسلم، ويقول عليه السلام: «في كل ذات كبد رطبة أجر».

٩- وأخلاق الإسلام تفرض على المسلم ألا يسخر من أحد، ولا يلمز أحدًا بعيب، ولا يعيره بلقب مشين، ولا يغتابه، ولا يتجسس عليه، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤).

(١) الآية ٢٨٠ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٢ من سورة المائدة.
(٣) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.
(٤) الآيات ١١، ١٢ من سورة الحجرات.

هذه هي بعض الصفات الذميمة التي أشارت إليها هاتان الآيتان، وقد صدر النهي الإلهي للمؤمنين فيهما باجتناب هذه الصفات جميعها وعدم التخلق بأي منها، وذلك حماية لأعراض المسلمين وصيانة لهم من أي إيذاء معنوي يلحقهم أو يخدش كرامة أي واحد منهم سواء في حضوره أو غيبته.

فبالنسبة لتحريم السخرية من الغير وتحريم لمزه [1] تحقيرا له أو نبزه [2] بلقب مشين أو تعييره بفقره، أو بوجود عاهة فيه، أو أي عيب من العيوب فذلك لأن هذه الأمور تعتبر من أسوأ الصفات وأرذلها، لأنها نابعة من نزعة الكبر، والكبر يوهم صاحبه أنه خلق من معدن نفيس، وما عداه من البشر خلقوا من الطين، ومن ثم فإنه ينظر إلى الآخرين بعجرفة واستعلاء، وكان أحرى به أن يقابل نعم الله عليه بالشكر والتواضع لخلق الله لأن التواضع هو علامة الشكر.

وقد ضرب الله بعض الأمثلة للمتكبرين في كتابه العزيز لنتخذ منها العظة والعبرة في حياتنا ونرى كيف تكون سوء عاقبتهم حتى لا ننهج منهجهم، فمن ذلك قوله ﷻ في سورة الكهف: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا

(١) اللمز: هو السخرية من الغير مع الإشارة بالعين.
(٢) النبز: هو التعبير بلقب مشين.

﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (١).

ومن ذلك أيضا: قصة قارون، إذ يقول ﷻ فيها: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (٢).

وكفى بالمتكبر وضاعة عند الله أنه يشترك مع إبليس في أبغض صفة كانت هي السبب المباشر في طرده من رحمة الله إذ يقول ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٣).

والشأن في المتكبر انه لا يخضع للحق مهما كان واضحاً أمام عينيه، ومن ثم ذم الله المتكبرين ونعى عليهم في أكثر من موطن، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا

(١) الآيات ٣٢-٤٤ من سورة الكهف.
(٢) الآيات ٧٦-٨٣ من سورة القصص.
(٣) الآيات ٧١-٧٨ من سورة ص.

كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (٢).

ويقول: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٣).

ويقول تعالى حكاية عن وصية لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (٤).

ويقول ﷺ: **«بحسب أمريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»** رواه مسلم.

وروي عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»**، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا؟ قال: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»** أي احتقارهم.

قال ﷺ: **«من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار»** (٥).

وفي رواية عن عبدالله بن عمرو أن الرسول ﷺ قال: **«من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه»** (٦).

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما يصيبهم من العذاب»** (٧).

---

(١) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف.
(٢) الآية ١٥ من سورة إبراهيم.
(٣) الآية ٣٧ من سورة الإسراء.
(٤) الآيات ١٧-١٩ من سورة لقمان.
(٥) سنن أبي داود ٢٥٥/٤.
(٦) إحياء علوم الدين ٣٢٧/٣ في كتاب ذم الكبر، وجاء في هامشه " حديث عبدالله بن عمرو... أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقة بإسناد صحيح ".
(٧) إحياء " علوم الدين ٣٢٧/٣ كتاب ذم الكبر والعجب. رياض الصالحين ٢٧١ نقلا عن سنن الترمذي ومعنى يذهب بنفسه أي يرتفع ويتكبر.

وبالنسبة للظن السيئ بالآخرين:

فهو أيضا من الصفات البغيضة في الإسلام، لأن الشأن في المؤمن أن يكون صافي النفس نقي السريرة تجاه الآخرين، فلا يظن بالناس إلا خيرا ما لم يبد من أحدهم غير ذلك، فإن بدى من بعضهم سوء تصرف جاز ظن السوء به وحده دون تعميم حكمه على الآخرين، حيث لا تزر وازرة وزر أخرى في الإسلام، ولأن الأصل في المسلمين العدالة، ونحن مطالبون بأن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لأنه هو وحده المطلع عليها.

ومن ثم فقد كان عمر رضي الله عنه يخطب فيقول:

" أيها الناس... إنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل، وإذ النبي ﷺ بين أظهرنا، فقد رفع الوحي وذهب النبي ﷺ، فإنما أعرفكم بما أقول لكم، ألا فمن أظهر لنا خيرا ظننا به خيرا وأثبناه عليه، ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه " (١).

والشخص الذي يغلب عليه الظن السيئ بالناس يكون متجنيا عليهم وظالما لهم لأنه ينسب إليهم من الرذائل ما هم براء منه غالبا، وإن الله ﷻ قد نهى عن الظلم، بل وفي ذلك ظلم لنفسه أيضا، لأنه يعذبها بهذا التفكير الكالح الكئيب تجاه الناس، فيشعر وكأنه في غابة كثيفة، وكأن الناس ليسوا إلا مجموعة وحوش، يتربصون به الدوائر، بغية افتراسه فيتعامل معهم بحذر بالغ ويحمل كل أقوالهم وكل تصرفاتهم على محمل سيئ، ولابد لهم أن يشعروا بذلك من خلال تصرفاتهم معهم، فيتعاملون معه من هذا المنطلق، ومن ثم يكون بغيضاً لديهم منبوذا بينهم وهكذا يظل حبيس ظنونه وأوهامه.

وأما الشخص الذي لا يغلب عليه ظن السوء بالناس، فإنه يكون سمحاً كريم النفس لين الخلق هاشًا باشًا ودودا يتعامل معهم بطيبة وطهارة ونقاء يألفهم ويألفونه شاركهم أفراحهم، ويكون معهم كواحد منهم، يحبهم

(١) أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر - تأليف علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي - ص ٢٣٧.

ويحبونه، ويشعر معهم بالأمان والسعادة والرضا، ويشعرون معه كذلك.

ومن ثم فقد روي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " حسن الظن من حسن العبادة " [1]. وروي عن أبي هريرة أيضا أن الرسول ﷺ قال:«**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» [2] أي الظن الذي لا يستند إلى أدلة قوية.

وبالنسبة للتجسس:

وهو تتبع عورات المسلمين بعد أن سترها الله عليهم فهو منهي عنه أيضا بنص الآية الكريمة مراعاة لحرمات المسلمين، ومن ثم يقول الرسول ﷺ فيما روي عن معاوية ﷺ " إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم " ويقول في رواية أخرى عن أبي أمامة: " إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم " [3].

وقال الرسول ﷺ :«**من استمع إلى خبر قوم وهم له كارهون صب في أذنه الإنك يوم القيامة**».

وروي عن أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال:«**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته فضحه ولو كان في جوف بيته**» [4].

روى أن عمر ﷺ كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه، فوجد عنده امرأة، وعنده خمر فقال: يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصية، فقال: وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل فإن كنت قد عصيت الله في واحد، فقد عصيت الله في ثلاث: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [5]، وقد تجسست، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [6]، وقد تسورت علي، وقد

(١) سنن أبي داود ٢٩٨/٤.
(٢) المرجع السابق ص ٢٨٠.
(٣) تفسير القرطبي ٣٣٣/١٦، وسنن أبي داود ٢٧٣/٤.
(٤) تفسير القرطبي ٣٣٣/١٦، وسنن أبي داود ٢٧٢/٤.
(٥) الآية ١٢ من سورة الحجرات.
(٦) الآية ١٨٩ من سورة البقرة.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ ﴾ (١)، كما روى أن عمر أيضا كان يعس في المدينة ذات ليلة، فرأى رجل وامرأة على فاحشة، فلما أصبح الناس قال للناس: أرأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد، ما كنتم فاعلين فقالوا: إنما أنت إمام، فقال عليﷺ. ليس ذلك إذن يقام عليه الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ".

وقال ﷺ:«من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة» (٢).

وقال أيضا:«لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة» (٣).

وقال:«من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة» (٤).

وروى أن ماعزا حينما أرتكب جريمة الزنى وشعر بالندم على جريمته أخبر بذلك أحد معارفه، وكان اسمه هزيلا، فأشار عليه هزيل، بأن يذهب إلى الرسول ﷺ، ويعترف أمامه بفعلته، وعمل ماعز بمشورته، ونفذ فيه حد الرجم لأنه كان محصنا، وبعد أن عرف الرسول ﷺ بأن هزيلا هو الذي أشار عليه بأن يقر أمام الرسول ﷺ قال له عاتباً عليه: هلا سترته بثوبك يا هزيل.

وأما النهي عن الغيبة:

فذلك انطلاقا من مبدأ حماية أعراض المسلمين أيضا، وقد صور القرآن الكريم المغتاب في أبشع صورة، وذلك إذ شبهه، وهو يلوك في سيرة غيره بمن يأكل لحم أخ له ميت، فليس من السهل على النفس أن يأكل الإنسان لحم أي حيوان ميت، إلا إذا كان قد وصل به الجوع إلى درجة الهلاك إن لم يأكل، وهي حالة الضرورة القصوى لقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٥)، أما وأن يكون الأكل من لحم إنسان ميت فهذه بشاعة ينفر منها أخس

(١) الآية ٢٧ من سورة النور.
(٢) سنن الترمذي ٣٤/٤.
(٣) المرجع السابق ص ٣٥.
(٤) سنن أبي داود ٢٧٣/٤.
(٥) الآية ٣ من سورة المائدة.

الحيوانات طبعاً فما بالنا إذا كان هذا الإنسان الميت هو أخ لمن يأكل لحمه؟ إن هذا لشيء فظيع، بل أفظع من أي تصور يمكن أن يرد على عقل أي إنسان مهما بلغ به من القسوة والشراسة والوحشية ومهما تجرد من كل معاني الرحمة والإنسانية.

وهذه الصورة التي بلغت حدا من القتامة لا يطاق، إنما هي صورة المغتاب أو المغتابة للمسلمين أو المسلمات.

ووجه الشبه في هذه الصورة، إن من يغتابه لا يملك دفاعاً عن نفسه؛ لأنه لا يسمعك ولا يراك حال اغتيابك له، ومن ثم فهو من هذه الناحية يعتبر شبيها بالميت بالنسبة لك حيث لا يملك أي منهما دفاعا عن نفسه.

ثم إن هذا الشخص الذي تغتابه هو أخوك في الإسلام، أو أخوك في الإنسانية فمعنى الأخوة موجود في جميع الأحوال، وكما أن لأخيك من النسب حرمة يجب عليك أن تصان، فكذلك لأخيك في الإسلام ولأخيك في الإنسانية حرمة يجب أن تصان أيضاً، فإذا أهدرت هذه الحرمة تكون كما لو أكلت لحمه ميتاً تماماً.

ومن ثم فقد روي عن أبي هريرة أن ماعزا الأسلمي، بعد أن أقر على نفسه بالزنى أمام النبي ﷺ، وبعد أن أمر النبي ﷺ برجمه سمع النبي رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه، فلم تدعه نفسه حتى رجم كالكلب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «**أين فلان وفلان**» فقالا: نحن ذا يا رسول الله، قال: «**انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار**» فقالا: يا نبي الله ومن يأكل من هذا؟ قال «**فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي انهار الجنة ينغمس فيها**» [(١)].

وقال النبي ﷺ: «**إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما**

(١) تفسير القرطبي ١٣٥/١٦.
(٢) سنن أبي داود ٢٦٩/٤.

تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» [1].

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية، كذا، كذا،... تعني قصيرة... فقال:«**قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**».

هذا ولا يعتبر من الغيبة ذكر الفاسق المجاهر بفسقه بما فيه، فقد جاء في الخبر: " من ألقي جلباب الحياء فلا غيبة له ".

وقال الرسول ﷺ:«**اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس**».

وقال الحسن البصري: ليس لأهل البدع غيبة، وقال أيضا: ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب الهوى، والفاسق المعلن، والإمام الجائر.

وكذلك قال الفقهاء: " إن قولك للقاضي تستعين به على أخذ حقك ممن ظلمك فتقول: فلان ظلمني أو غصبني أو خانني أو ضربني أو قذفني أو أساء إلي ليس بغيبة ". وعلماء الأمة مجمعة على ذلك، فقد قال النبي ﷺ : «**لصاحب الحق مقال**»، وقال:«**مطل الغني ظلم**»، وقال:«**لي الواجد يحل عرضه وعقوبته**».

وكذلك الاستفتاء كقول هند للنبي ﷺ، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي، فآخذ من غير علمه؟ فقال النبي ﷺ :«**نعم فخذي**» فذكرته بالشح والظلم لولدها ولم يرها مغتابة.

وكذلك إذا كان في ذكره بالسوء فائدة، كقوله ﷺ:«**أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يرفع عصاه عن عاتقه**» فهو جائز [2]، إذ كان مقصوده ﷺ النصح لها في أمر يتعلق بمستقبلها والنصيحة تقتضي الوضوح لأنها أمانة فقد قال الرسول ﷺ :«**المستشار مؤتمن**» وفاطمة بنت قيس قد طلبت مشورته ﷺ، في معاوية وأبي جهم، فلابد أن تكون الإجابة واضحة حتى ولو تضمنت ذكر عيوب من يؤخذ الرأي بشأنهم.

* * *

(١) سنن أبي داود ٢٦٩/٤.

(٢) انظر فيما تقدم: تفسير القرطبي ٢٣٩/١٦ - ٣٤٠.

ومن القيم الخلقية في الإسلام

حسن الخلق

فحسن الخلق يعتبر من أهم الصفات التي حث الإسلام عليها، فهذه الصفة وحدها كفيلة بالقضاء على أكثر أنواع الجرائم في المجتمع، بل لا يتصور وقوع جريمة بين اثنين يتسمان أو يتسم أحدهما بحسن الخلق على الوجه الأمثل كما يبغي الإسلام.

ومن ثم فالمجتمع الإيماني قلما تقع فيه جريمة لالتزام أفراده بمنهج الإسلام بوجه عام، وبحسن الخلق، بوجه خاص، ولذا يشعر كل فرد فيه بالحماية الكاملة.

ومما يؤكد ذلك أن أبا بكر لما تولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ وشعر بمدى ثقل عبء المسؤولية الملقاة على عاتقه، قال له أبو عبيدة أنا أكفيك بيت المال، وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء، فمكث عمر سنة كاملة لا يأتيه خصمان وهل يمكن أن يحصل ذلك إلا إذا كان المجتمع ينعم بأمان لا نظير له، إذا كان الخلق الحسن هو السياج المنيع الذي يحوط المجتمع كله، ويحول دون تسرب أي رذيلة إليه، ويقضي على أي عدوان في مهده بل وقبل أن يولد.

ومن ثم فهذه الصفة تعتبر هي المحك الحقيقي لمعرفة جوهر أي إنسان وقيمة معدنه وما إذا كان نفيساً أم خسيسا.

وهذه الصفة يمكن أن تسمو بالإنسان إلى مصاف الملائكة، إذا تأصلت عنده، وبدونها ينقلب إلى وحش شرس، استبد به الجوع، والتعطش للدماء، ويقوده شيطان مارد، يدمر به كل ما حوله ومن حوله، والمجتمع الذي يشيع فيه سوء الخلق ماله إلا الضياع حتما.

وصفة حسن الخلق هي أم الفضائل، وهي موئل كل الصفات الحسنة في الإنسان، فيتلقي في رحابها السماحة والحلم والتواضع والرحمة، والعفو عند المقدرة ورد السيئة بالحسنة والترفع عن الدنايا.

وكفى بهذه الصفة شرفاً أنها غدت أرفع وسام من الله لرسوله إذ قال

له:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1].

وقد روي عنه ﷺ أنه قال:«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق، فتلا قوله تعالى:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [2] ثم قال ﷺ:«هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك».

وقال رسول الله ﷺ:«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق».

وقال:«إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون».

وقال:«أكمل المؤمنون إيمانا أحسنهم خلقا».

وقال:«رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى».

وقال:«إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» [3].

وقال:«من يحرم الرفق يحرم الخير» [4].

وقال:«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» [5].

وقال ﷺ:«البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس» رواه أحمد.

وقال ﷺ:«إن المرء ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» [6].

وقال:«ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق» [7].

وعن سعيد بن المسيب أنه قال: " بينما رسول الله ﷺ جالس مع

(١) الآية ٤ من سورة القلم.
(٢) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.
(٣) سنن ابن ماجه ١٦/٢.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) سنن أبي داود ٢٥٢/٤.
(٧) المرجع السابق ص ٢٥٣.

أصحابه وقع رجل بأبي بكر، فأذاه فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثالثة فانتصر منه أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر أوجدت علي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذا وقع الشيطان»** (١).

وروى أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي ﷺ، وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر رضي الله عنه، تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر رضي الله عنه: مما تضحك بأبي وأمي يا رسول الله، فقال: **«عجبت لأولئكن اللائي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب»**، فقال عمر: أنت أحق أن يهبنك يا رسول الله، ثم أقبل عليهن عمر فقال: يا عدوات أنفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ، قلن: نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: **«يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك»** متفق عليه.

وقال رسول الله ﷺ: **«ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن: ما نقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»**.

وقالت عائشة رضي الله عنها: " ما رأيت رسول الله ﷺ منتظراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك من محارم الله، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضبا، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن أثما ".

هذا وإن من لوازم حسن الخلق: التواضع، ومن ثم يقول الرسول ﷺ: **«أن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»** (٢).

(١) سنن أبي داود ٤/٢٧٤.
(٢) سنن أبي داود ٤/٣٧٤.

هذا وإن من مقتضى ذلك أيضاً: كظم الغيظ وعدم الاستسلام للغضب، ومن ثم يقول الله ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١).

ويقول الرسول ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة - أي الذي يصرع الناس بقوته - وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

ويقول: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» (٢).

ومن مقتضى حسن الخلق كذلك: عدم إظهار الشماتة بأحد، لقول الرسول ﷺ: «لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك» (٣).

ومن مقتضى حسن الخلق عدم الوشاية بالآخرين بهدف التملق والتزلف والرياء، ومن ثم يقول الرسول ﷺ: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فأنا أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» (٤).

ومقتضى حسن الخلق كذلك أن يحب الإنسان الخير للناس جميعا، لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه» رواه البخاري.

هذا ولا ينتهي نطاق حسن الخلق في الإسلام عند محبة الإنسان لغيره ما يحبه لنفسه ولكنه يرتقى بصاحبه إلى الذروة في العطاء فيجعله يؤثر غيره على نفسه، ومن ثم يقول الله ﷻ: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾: (٥). ويقول: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ (٦). ويقول ﷺ: «إن الأشعريين كانوا إذا أرملوا في حرب أو قل طعام عيالهم جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد

(١) الآيات ١٣٣، ١٣٤ من سورة آل عمران.
(٢) سنن أبي داود ٤/ ٣٤٩.
(٣) سنن الترمذي
(٤) سنن أبي داود.
(٥) الآية ٩ من سورة الحشر.
(٦) الآيات ٨، ٩ من سورة الإنسان.

بالسوية فهم مني وأنا منهم» متفق عليه.

* * *

مدى أهمية حسن الخلق في مجال الدعوة

إذا كان حسن الخلق مطلوباً في الإسلام بشكل عام، فإنه في مجال الدعوة والإرشاد أشد وآكد، لأن تأثيره في النفوس يكون أقوى، ويكون الناس معه أقرب إلى الاستجابة أما الغلظة والعنف في هذا المجال وغيره فإنهما يؤديان إلى النفور.

ومن ثم فإن الله ﷻ يقول للرسول ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١).

ويقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢).

ويقول: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٣).

ويقول تعالى لموسى وهو يأمره بالذهاب إلي فرعون: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (٤).

ويقول الله لنبيه: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٥).

ويقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (١).

---

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.
(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل.
(٣) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت.
(٤) الآيات ٤٢-٤٧ من سورة طه.
(٥) الآية ٢٧٢ من سورة البقرة.
(١) الآية ٥٦ من سورة القصص.

ويقول: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ (١).

ويقول: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (٢).

ويقول: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

ويقول: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ (٤).

ويقول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٥).

ويقول ﷺ: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا».

ويقول: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين».

وقد ضرب الرسول ﷺ لنا أروع الأمثلة في هذا الشأن:

١- **فمن ذلك**: أنه روي عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال**» ثم أن رسول الله ﷺ دعاه ثم قال: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، وإنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن.. فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من الماء فشنه عليه**» (٦) ومعنى: لا تزرموه أي: لا تقطعوا عليه بوله.

وفي رواية أخرى من سنن أبي داود (١) بلفظ أن أعرابيا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فصلى - قال ابن عبيدة - ركعتين، ثم قال: اللهم

(١) الآية ٤٨ من سورة الشورى.
(٢) الآية ٢٢ من سورة الغاشية.
(٣) الآية ١٠٨ من سورة الأنعام.
(٤) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.
(٥) الآية ٦٤ من سورة آل عمران.
(٦) نيل الأوطار ٤٣٠/١.
(١) حـ١ ص ١٠٣.

ارحمني ومحمد ولا ترحم معنا أحداً، فقال النبي ﷺ :«**لقد تحجرت واسعا**» ثم لم يلبث أن بال في ناحية المسجد، فأسرع الناس إليه، فنهاهم النبي ﷺ، وقال:«**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، صبوا عليه سجلا من ماء**» أو قال:«**ذنوبا من ماء**».

٢- **ومن ذلك** ما روي عن معاوية بن الحكم السهمي قال: " لما قدمت على رسول الله ﷺ علمت أمورا من أمور الإسلام، فكان فيما علمت إن قال لي:«**إذا عطست فاحمد الله، وإذا عطس العاطس فحمد الله، فقل: يرحمك الله**». قال فبينما أنا قائم مع رسول الله ﷺ في الصلاة إذ عطس رجل فحمد الله فقلت: يرحمك الله - رافعا بها صوتي - فرماني الناس بأبصارهم، حتى احتملني ذلك، فقلت: ما لكم تنظرونني بأعين شرز؟ قال: فسبحوا فلما قضى رسول الله ﷺ قال:«**من المتكلم؟**» قيل: هذا الأعرابي، فدعاني رسول الله ﷺ فقال لي:«**إنما الصلاة لقراءة القرآن وذكر الله ﷻ فإذا كنت فيها فليكن هذا شأنك**» فما رأيت معلما قد أرفق من رسول الله ﷺ (١).

٣- روي أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي في الزنى فأقبل عليه القوم وزجروه فقالوا: مه... مه.

قال رسول الله ﷺ:«**ادنه**» فدنا منه قريبا. فقال:«**أتحبه لأمك؟**» - أي الزنى - قال: لا والله جعلني الله فداك. قال ﷺ:«**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**».

قال ﷺ:«**أفتحبه لابنتك**»، قال الفتى: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال صلوات الله وسلامه عليه:«**ولا الناس يحبونه لبناتهم**».

قال:«**أفتحبه لأختك؟**»، قال الفتى: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك قال ﷺ:«**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**».

قال:«**أتحبه لعمتك؟**». قال الفتى: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال:«**ولا الناس يحبونه لعماتهم**».

قال:«**أتحبه لخالتك؟**». قال الفتى: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال:«**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**».

(١) سنن أبي داود ٢٤٥/١.

قال الراوي - أبو أمامة فوضع النبي ﷺ يده عليه، وقال:«**اللهم أعفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه**».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

* * *

ومن القيم الخلقية في الإسلام لحماية الإنسان: الرحمة:

الرحمة هي قمة السمو الأخلاقي، وكفى به شرفا أنها مشتقة من أحد أسماء الله الحسنى. وهي من أخص خصائص المجتمع المسلم المتمسك بتعاليم دينه.

ومن ثم كان الضعيف في المجتمع الإسلامي هو أمير الركب مراعاة لضعفه إذ يقول الرسول ﷺ:«**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**».

ويقول:«**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**» متفق عليه.

ويقول:«**من لطم مملوكاً أو ضربه فكفارته أن يعتقه**».

وعن هلال بن يساف قال: كنا نزولا في دار سويد بن مقرن وفينا شيخ فيه حدة ومعه جارية له فلطم وجهها، فما رأيت سويد أشد غضبا منه ذلك اليوم، قال: عجز عليك إلا حر وجهها؟ لقد رأيتنا سابع سبعة من ولد مقرن وما لنا إلا خادم فلطم أصغرنا وجهها، فأمر النبي ﷺ بعتقه.

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب غلاماً لي - أي عبداً - فسمعت من خلفي صوتا:«**اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه**» فالتفت فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى. قال:«**أما أنك لو لم تفعل للفحتك النار**».

وعن أبي سويد قال: دخلنا على أبي ذر، فإذا عليه برد، وعلى غلامه مثله فقلنا: يا أبا ذر لو أخذت برد غلامك إلى بردك، فكانت حلة وكسوته ثوبا غيره؟ قال سمعت النبي ﷺ يقول:«**إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يديه، فليطعمه مما يأكل، وليكسه ما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه**».

وعن أبي ذر أيضا قال: قال رسول الله ﷺ:«**من لاءمكم من مملوكيكم فأطعموه ما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون ومن لا يلائمكم منهم فبيعوه، ولا تعذبوا خلق الله**» (١).

وكان آخر كلامه ﷺ:«**الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيديكم**».

ويقول الرسول ﷺ«**استوصوا بالنساء خيرا**».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قبل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر النبي ﷺ فقال إليه:«**من لا يرحم لا يرحم**» متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا أتقبلون صبيانكم؟ فقال:«**نعم**» قالوا: والله ما نقبل، فقال رسول الله ﷺ:«**أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟**» متفق عليه.

والرحمة في الإسلام لا تقف عند حد معين وإنما تمتد لتخلل العبادة أيضا.

فهذا رسول الله ﷺ يقول:«**أني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطيل فيها فأسمع بكاء الصبي فاتجوز فيها مخافة أن اشق على أمه**» رواه البخاري.

وتقول عائشة رضي الله عنها: " إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم " متفق عليه.

وتقول " نهاهم ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، فقال:«**إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**» متفق عليه: معناه يجعل في قوة على تحمل الجوع والعطش.

وعن ابن مسعود عقبة بن عمرو البدري ﷺ قال: جاء رجل إلي النبي ﷺ فقال: أني أتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت رسول الله ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال:«**أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير**

(١) سنن أبي داود ٣٤١/٤.

والصغير وذا الحاجة» متفق عليه.

والرحمة في الإسلام لا تقتصر على الإنسان فقط وإنما تمتد لتشمل الحيوان أيضا فالرسول ﷺ يقول: «في كل ذات كبد رطبة أجر».

ويقول: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

ويقول: «إن رجلا أصابه عطش شديد، فنزل بئرا ليرتوي زمن مائها، فلما خرج منها رأى كلباً يلهث يلحس الثرى من العطش، فقال: لقد أصاب الكلب من العطش مثل الذي أصابني فنزل البئر وملأ خفه وسقى الكلب فشكر الله فغفر له» رواه مسلم.

* * *

ومن القيم الخلقية في الإسلام لحماية الإنسان

نظافة القلب من الحسد

الحسد هو مرض قلبي يتمثل في تمني زوال النعمة عن الغير، ومن ثم فهو أبغض الصفات في الإسلام، ولهذا يحرص الإسلام على أن يكون قلب المؤمن طاهرا نقيا نظيفا من الحقد تجاه الآخرين، فذلك هو الأثر الحقيقي للصلاح والورع والتقوى، وبدون ذلك لا يكون صلاح ولا ورع ولا تقوى حتى وإن صام الإنسان وإن صلى وأدى جميع فرائض الإسلام.

يقول الرسول ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

ويقول ﷺ: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب» رواه أبو دود.

ومما يؤكد أن الحسد يتنافى كل التنافي مع الإيمان. قول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

فإذا كان الحديث يطلب منا أن نحب للآخرين ما نحب لأنفسنا، وإن لم نفعل ذلك فلا نكون مؤمنين حق الإيمان، فأنى يتحقق الإيمان لشخص كل أمانيه في الحياة زوال نعم الله عن عباده، إنه على النقيض تماما مما

يطلبه الإسلام من المؤمن.

بل ومما يؤكد ذلك أيضا ذلك أن نظافة القلب من الحقد والحسد تعتبر هي المقياس الحقيقي للإيمان هذا الحديث الشريف.

روي عن أنس بن مالك قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار، تنظف لحيته من وضوئه. فلما كان الغد، قال ﷺ مثل ذلك، فطلع الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث: قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا، فطلع الرجل على مثل الحالة الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمر، فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تأويني إليك، حتى تمضي فعلت. قال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث ليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعار - أي انتبه من نومه - ذكر الله ﷻ، وكبر حتى صلاة الفجر، غير أني لم أسمعه، يقول: إلا خيرا. فلما مضت الثلاث ليالي، وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك رسول الله ﷺ، قال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذا التي بلغت بك.

وكما قلنا من قبل إن إيجاب الإسلام خلو قلب المسلم من الحسد، إنما هو لحماية الإنسان من كل الشرور، والمضار التي يعتبر الحسد هو الدافع الحقيقي لارتكابها.

وبعد:

فهذه لمحة خفيفة عابرة عن القيم الخلقية في الإسلام، وأثرها في حماية الإنسان وهي قليل من كثير بل قطرة من بحر شاسع، يموج بقيم الإسلام وأخلاقه وعرفنا كيف يكون لهذه القيم أكبر الأثر أيضا في حماية

الإنسان نفسه وجسمه وعرضه وماله، وكيف يكون لها أكبر الأثر أيضاً في حماية أمن المجتمع وأمانه، لو أننا وضعناها نصب أعيننا، وحرصنا على غرسها في نفوس أبنائنا وبناتنا منذ فجر الصبا، وأن نكون قدوة لهم في ذلك، وألا نعتبر هذه القيم على هامش حياتنا، فبناء الإنسان أفضل من بناء ألف مصنع ومصنع، لأن الإنسان المؤمن التقي الورع يبني ويحافظ على البناء، ولا تمتد يده بسوء إلى أحد أبدا، ولا يتجاوز حدود الله وتعاليمه لا بالنسبة للإنسان ولا الحيوان بل ولا حتى الجماد.

وأما الإنسان الذي لا يعمر الإيمان قلبه، ولم تتعمق في وجدانه مبادئ الإسلام وقيمه، فإنه يهدم ولا يبني ويخرب ولا يعمر ويضر ولا ينفع.

خلاصة:

وخلاصة ما تقدم أن أكثر ما تتضمنه الشريعة الإسلامية من المبادئ والأحكام إنما يدور حول حقوق الإنسان، وحمايته من العدوان والظلم والعناية به في جميع مراحل حياته، بل قبل الحياة وبعد الممات أيضا كما سبق أن ذكرنا، وإن المنهج الذي اتبعته في تقرير هذه الحقوق، كان فريداً من نوعه حيث يرتكز على ثلاثة محاور، وهي: التحذيرات الأخروية والعقوبات الدنيوية والقيم الخلقية.

وإن ما ذكرناه في هذا الشأن لم يكن إلا ومضة خاطفة من نور الشريعة الباهر وإلا فتعاليم الشريعة فيما يتعلق بحقوق الإنسان وحمايته، لا تكاد تحصى وقد اكتفينا هنا بهذا النذر اليسير من تلك المبادئ نظرا لضيق الوقت وطبيعة هذه الدراسة، التي تحتم تناول الكثير من الموضوعات المختلفة، وإن ذكرنا لهذه المبادئ ليس إلا من باب الإشارة، ولفت النظر إلى كنوز الشريعة الإسلامية التي نتجاهلها كل التجاهل ونولي وجهنا شطر دول أخرى، لا تؤمن بالإسلام لنستجدي منهم أن يعلمونا حقوق الإنسان، بينما هم أول من أهدروا حقوقنا ومرغوا كرامتنا في الرماد، وكانوا السبب المباشر فيما عانيناه ونعانيه من مصائب ونكبات.

لذا فقد كان من الواجب علينا عرض بعض جوانب العظمة في

الشريعة، فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الحماية من العدوان، وأن نكشف عن بعض كنوزها في هذا المضمار، لنصوغ منها بعد ذلك ما نشاء من قوانين تكفل الأمن والأمان للإنسانية جمعاء، وما علينا إلا أن نكون صادقين مع أنفسنا ونخلص النية لله تعالى.

* * *

obeikandl.com